Mutual Interests between Science and Religion

Mustafa Azizi

Assistant Professor at Al-Mustafa International University, Department of Philosophy, Iran. E-mail: m.azizi@aldaleel-inst.com

Summary

The relationship between science and religion is one of the important topics in the philosophy of religion. There are four theories on the explanation of this relationship: the theory of "contradiction between science and religion," the theory of "the differentiation of science and religion," the theory of "the intersection of science and religion," and the theory of "the marriage of science and religion." In this article, we shed light on the theory of **the marriage of science and religion**, and see that the relationship between them is a coordinate, complementary relationship. There is no doubt of the many intersections of science and religion; science has discovered the secrets of nature in the light of the development of natural and experimental sciences, revealing new dimensions of the scientific miracles of the definitive **Religious Text**. The development of modern natural sciences explains to us some of the wisdom hidden behind some of worship rituals. And among the services of religion to science is that Religion invites for contemplating and thinking thoroughly about cosmic facts, stimulating minds, and encouraging people to search and study the secrets of all things in the world of nature, and moreover, to offer secrets of natural sciences and open new horizons of knowledge for scientists and scholars that have not been preceded by any human science.The method followed in this article is the analytical rational method.

Keywords: science, religion, mutual services, integrative relationship, the world of nature.

Al-Daleel, 2022, Vol. 4, No. 4, PP. 162 - 176
Received: 7/1/2022; Accepted: 2/2/2022
Publisher: Al-Daleel Institution for Doctrinal Studies
©the author(s)

العلاقة التكاملية بين العلم والدين

مصطفى عزيزي

استاذ مساعد في قسم الفلسفة، جامعة المصطفى العالمية. البريد الإلكتروني: m.azizi@aldaleel-inst.com

الخلاصة

إنّ موضوع علاقة العلم والدين من الأبحاث المهمّة في فلسفة الدين، وهناك أربع نظريّاتٍ حول تبيين هذه العلاقة وهي: نظريّة "التعارض بين العلم والدين"، ونظريّة " التمايز العلم والدين"، ونظريّة "تداخل العلم والدين"، ونظريّة "تعاضد العلم والدين". وسنسلّط الضوء في هذه المقالة على نظرية التعاضد بين العلم والدين ونرى أنّ العلاقة القائمة بينهما هي العلاقة التكامليّة التناسقيّة. ولا يخفى أنّ هناك خدماتٍ متبادلةً بين العلم والدين؛ ومن جملة خدمات العلم للدين كشف رموز الطبيعة وأسرارها في ضوء تطوّر العلوم الطبيعيّة والتجريبيّة، ممّا يكشف عن أبعادٍ جديدةٍ للإعجاز العلميّ للنصّ الدينيّ القطعيّ، كما أنّ تطوّر العلوم الحديثة الطبيعيّة يبيّن لنا بعض الحِكم المكنونة وراء بعض المناسك العباديّة، وأمّا خدمات الدين للعلم فمن جملتها دعوة الدين إلى التعقّل والتفكّر في الحقائق الكونيّة، وإثارة العقول، وتشجيع الناس على البحث عن أسرار الأمور والأشياء المخلوقة في عالم الطبيعة، وكذلك تقديم ملامح وومضاتٍ عن العلوم الطبيعيّة وأسرارها، وفتح آفاقٍ معرفيّةٍ جديدةٍ للعلماء والباحثين. والمنهج المتّبع في هذه المقالة هو المنهج العقلي التحليليّ.

الكلمات المفتاحية: العلم، الدين، الخدمات المتبادلة، العلاقة التكامليّة، عالم الطبيعة.

مجلة الدليل، 2022، السنة الرابعة، العدد الرابع، صص. 162 - 176

استلام: 2022/1/7 ، القبول: 2022/2/2

الناشر: مؤسسة الدليل للدراسات والبحوث العقديّة

© المؤلف

المقدّمة

هناك اتّجاهان أساسيّان حول العلاقة بين العلم والدين: الاتّجاه الّذي يركّز على إقصاء الدين وتحييده من العلم ويرى الفصل بينهما، بل يؤكّد على التعارض والتنافي بينهما. وفي المقابل هناك اتّجاهٌ آخر يدافع عن العلاقة التكامليّة والتعاضديّة بين العلم والدين، ويركّز على التواؤم والتناغم بينهما. يحاول الاتّجاه الأخير أن يبيّن أنّ الدين محتاجٌ إلى العلم في بعض الموارد، كما أنّ العلم يفتقر إلى الدين في بعض المجالات. من هذا المنطلق بدأ المفكّرون يسلّطون الضوء على الخدمات المتبادلة بين العلم والدين ويؤكّدون على العلاقة التكامليّة بينهما من خلال إبراز الاحتياجات المتبادلة بينهما.

الجدير بالذكر أنّ المقصود من مفردة "العلم" في هذا البحث العلوم التجريبيّة الّتي تكشف عن الواقع المحسوس المادّيّ بالمنهج التجريبيّ الحسّيّ ويعبّر عنها بـ "science" ـ في قبال مطلق العلم الّذي يُعبّر عنه بـ "knowledge" ـ وهي تنقسم إلى قسمين:

أ ـ العلوم الطبيعيّة مثل علم الأحياء والفيزياء والكيمياء وعلم الأرض وغيرها.

ب ـ العلوم الإنسانيّة الّتي تبتني على المنهج التجريبيّ كعلم النفس وعلم الاجتماع والاقتصاد وعلم الإدارة وغيرها.

ونقصد بالعلم هو العلم الشامل للعلوم التجريبيّة الطبيعيّة والعلوم التجريبيّة الإنسانيّة.

من جهةٍ أخرى أنّ المراد من مفردة "الدين" في هذا البحث هو: «مجموعةٌ مؤلّفةٌ من المعتقدات والرؤية الكونيّة الّتي تبحث عن المسائل النظريّة كالمبدإ والمعاد، وأيضًا مجموعةٌ من القيم الأخلاقيّة الّتي ترشد الإنسان إلى الفضائل الإنسانيّة وتنهيه عن الرذائل النفسانيّة، وأيضًا مجموعةٌ من القوانين والأحكام الفرعيّة السلوكيّة والعبادات الفرديّة والاجتماعيّة المتمثّلة في النصوص الدينيّة الّتي جاءت من قِبل الله ـ تعالى ـ عن طريق أنبيائه العظام؛ لتحقيق السعادة الدنيويّة والأخرويّة للإنسان، والفلاح والفوز في الدنيا والآخرة [جوادی آملی، منزلت عقل در هندسه‌ی معرفت دینی، ص 19]. فالمقصود من الدين في هذا البحث يشمل جميع الأديان التوحيديّة، ويركّز على الجوانب المشتركة بين الأديان، ولكنّ المصداق الأتمّ للدين في بحثنا هو الدين الإسلاميّ الأصيل.

نحاول في هذه المقالة أن نسبر غور العلاقة التكامليّة التعاضديّة بين العلم والدين من خلال المنهج العقليّ التحليليّ، ونُبرز أهمّ الخدمات المتبادلة بين العلم والدين؛ لكي نُثبت من خلال هذه الدراسة أنّ نظريّة التعارض بين العلم والدين نظريّةٌ خاطئةٌ وباطلةٌ ولا يمكن تطبيقها على الديانة الإسلاميّة.

تعاضد العلم والدين

هناك نظريّةٌ حول نسبة العلم والدين تسعى إلى تحقيق العلاقة الوثيقة بينهما، وتركّز على التكامل بين العلم والدين في كشف حقائق الكون، ألا وهي النظريّة التكامليّة بينهما. حسب هذه النظريّة ليس هناك أيّ تعارضٍ وتنافٍ بين مسائل الدين والعلم، بل تحاول نظريّة التكامل أن ترسم مجموعةً متناسقةً متماسكةً يساهم العلم والدين فيها في تبيين الحقائق الكونية والظواهر الطبيعية، وفي تحقيق رؤيةٍ كونيّةٍ منسجمةٍ. ونظرية التكامل بين العلم والدين تساعدنا على فهمٍ متكاملٍ وتفسيرٍ شاملٍ متوائمٍ منسجمٍ للعالَم. ويمكن في هذا الصدد الإشارة إلى كلام العلّامة مرتضى مطهري حول العلاقة الوثيقة بين العلم والدين حيث يقول:

«العلم يمنحنا النور والقدرة، والإيمان يمنحنا العشق والأمل والدفء، العلم يصنع الأداة، والإيمان المقصد، العلم يمنح السرعة، والإيمان يحدّد الاتّجاه، العلم قدرةٌ، والإيمان إرادةُ الخير، العلم يكشف عمّا هو موجودٌ، والإيمان يُلهِمُ ما ينبغي أن يُفعل، العلم ثورةٌ خارجيّةٌ والإيمان ثورةٌ باطنيّةٌ، العلم يجعل العالم عالمًا إنسانيًّا والإيمان يجعل الروح روحًا إنسانيّةً، العلم ينمّي وجود الإنسان بصورةٍ أفقيّةٍ، والإيمان ينمّيه بصورةٍ عموديّةٍ ويسمو به إلى أعلى، العلم يبني الطبيعة، والإيمان يبني الإنسان.

العلم والإيمان كلاهما يمنحان الإنسان قوّةً، لكنّ العلم يمنحه قوّةً منفصلةً، والإيمان يمنحه قوّةً متّصلةً. العلم جمالٌ وكذلك الإيمان، لكنّ العلم جمال العقل والإيمان جمال الروح، العلم جمال الفكر، والإيمان جمال الإحساس. العلم والإيمان كلاهما يمنحان الإنسان أمانًا، لكنّ العلم يمنحنه أمان الخارج والإيمان يمنحه أمان الباطن. العلم يقي من الأمراض والسيول والزلازل والفيضانات، والإيمان يقي من الاضطرابات والوحدة والشعور بعدم وجود ملجإٍ، ويقي من العدميّة. العلم يجعل العالَم منسجمًا مع الإنسان، والإيمان يجعل الإنسان منسجمًا مع ذاته» [مطهرى، مجموعه آثار، ج 2، ص 32].

كان ألفريد نورث وايتهيد (1861-1947) يدافع عن اتّجاه التكامل والتعاضد في نسبة العلم والدين، ويؤكّد أنّه بإمكاننا أن نصوّر نظامًا موحَّدًا منسجمًا في ضوء تعاضد العلم والدين. كذلك جورج شلزينجر (George Schlesinger) (1946-) يعتقد بأنّه علينا أن نستخرج المدّعيات الكلاميّة والعقديّة حول العالَم الخارجيّ، ثمّ نقوم بتقييمها العلميّ بمساعدة الملاحظة والمنهج التجريبيّ، وإن كان منهج العلم والدين وغايتهما وموضوعهما يختلف بعضها عن بعضٍ.

[Peterson, Reason & Religious Belief, an Introduction to the Philosophy of Religion, p. 300]

الجدير بالذكر أنّ هناك خللًا منهجيًّا ونظريًّا في هذا الكلام، كأنّ جورج شلزينجر أعطى المعياريّة

إلى العلم في تقييم القضايا الدينيّة الناظرة إلى العالم، في حين أنّ أكثر النظريّات العلميّة ليست قطعيّةً.

بناءً على نظريّة التعاضد والتكامل فإنّ لغة الدين ليست لغةً أسطوريّةً فرديّةً كلغة الدعاء والمناجاة الفرديّة، بل لغة الدين تكشف عن الواقع، وتحكي عن الحقيقة، كما أنّ لغة العلم تكشف عن الواقع، إذن يساهم الدين والعلم في إعطاء رؤيةٍ منسجمةٍ متوائمةٍ متلائمةٍ من العالَم، من دون أيّ رؤيةٍ استقلاليّةٍ انفصاليّةٍ إليهما. [Barbour, Issues In Science and Religion, p. 3]

كذلك الفيلسوف البريطانيّ دونالد مك كي (Donald Mackay) (1922-1987) يعتقد بالتناسق بين العلم والإلهيّات ويقول:

«"التعارض" بين العلم والدين يحصل فيما إذا كان هناك موضوعٌ وحادثةٌ واحدةٌ مع تفسيرٍ واحدٍ له، و"التمايز" بين العلم والدين فيما إذا كان هناك موضوعان متغايران مع تفسيريْن متغايرين لهما. و"التكامل والتعاضد" بين العلم والدين يتحقّق فيما إذا كان هناك موضوعٌ واحدٌ مع تفاسير متعدّدةٍ له، مع تغاير منهجهما وغاياتهما، فهذا هو التعاضد والتكامل بين العلم والدين»

[Peterson, Reason & Religious Belief, an Introduction to the Philosophy of Religion, p. 300].

إذن من منظار مك كي فإنّ غاية العلم والدين واحدةٌ ومنهجهما متعدّدٌ ومختلفٌ، ولكنّهما يتأمّلان ويبحثان حول موضوعٍ واحدٍ، وكلّ واحدٍ منهما يقدّم تفسيرًا وبيانًا خاصًّا من هذه الحقيقة الواحدة، ويكمّل بعضه بعضًا. بعبارةٍ أخرى إذا أردنا أن نفهم الواقع الخارجيّ فهمًا شاملًا كاملًا فنحتاج إلى التفاسير العلميّة والدينيّة معًا في تبيين حقيقةٍ واحدةٍ، وهذا هو المقصود من نظريّة "التعاضد والمكمّليّة".

على سبيل المثال أنّ مهمّة العلم وشأنه تبيين العلاقات العلّيّة والمعلوليّة بين الوقائع والأحداث الطبيعيّة وتوصيفها، ولكن ليس هذا تمام الواقع، بل فيه خللٌ ونقصانٌ؛ فلذا يأتي دور الدين ليبيّن المعنى والروح السائدة على هذه الأحداث والأشياء، وهو ربوبيّة الله ـ تعالى ـ وتدبيره لها. ومن الموارد الّتي يتكامل فيها العلم والدين معًا في تقديم رؤيةٍ كونيّةٍ مشتركةٍ هي:

1ـ أنّ غاية العلم هي كشف النظم السائد على الطبيعة، ويتمثّل هذا النظم في القواعد العلميّة. ولكنّ هدف الدين هو أن يتعرّف الإنسان على غاية العالم ومعناه، وهو الله تعالى، وأن يعرف مكانته في الكون.

2ـ أنّ العلم يبيّن صورةً منسجمةً من العالَم الطبيعيّ المادّيّ، ولكن من جهةٍ أخرى يثير العلم تساؤلاتٍ لا يقدر على الإجابة عليها، فيحتاج العلم إلى الدين حاجةً ماسّةً للإجابة عن هذه الأسئلة. يقول تشارلز هارد تاونز (Charles Hard Townes) عالم الفيزياء الحائز لجائزة نوبل:

«أنا أعتقد أنّنا إذا بحثنا عن الأمور من منظار العلم فحسب، فتبقى الأسئلة المتعلّقة بمبدإ الوجود بلا جوابٍ، فنحتاج إلى إجابةٍ دينيّةٍ أو ميتافيزيقيّةٍ، إذا كان من المقرّر الإجابة على هذا النوع من الأسئلة»

[Cosmos, Bios, Theos La Salle, Illinois, P. 123].

لا يخفى أنّ هناك ثلاثة مناهج متداولةٍ لبيان التناسق والتعاضد بين العلم واللاهوت:

أـ اللاهوت الطبيعيّ (Natural Theology)

بناءً على هذه الرؤية يدّعى بأنّه يمكن استنتاج وجود الله تعالى من خلال شواهد النظم السائد على الطبيعة، فالعلم يُطلعنا على هذا النظم والنظام أكثر فأكثر. يشجّع اللاهوت الطبيعيّ الاتّجاه العقليّ، ويحاول أن يستنتج وجود الإله من العالَم المنظَّم؛ لذا يقول إيان باربور (Ian Barbour): «إنّ اللاهوت الطبيعيّ يمكن أن يُري أنّ افتراض وجود الله افتراضٌ معقولٌ للكون، ولكنّ هذا النوع من الاستدلال بعيدٌ عن الحياة العمليّة للمجتمع الدينيّ» [Barbour, Issues In Science and Religion, p. 100].

يريد باربور أن يقول إنّ الاحتمال الّذي يركّز على وجود الإله في الكون أكثر معقوليةً من الاحتمال الذي ينفيه من الكون.

ب ـ لاهوت الطبيعة (Theology of Nature)

وفق هذه الرؤية أنّ منشأ اللاهوت وجذوره ترجع إلى أمرٍ وراء العلم وخارجه، ولكن تؤثّر النظريّات العلميّة الجديدة على إعادة النظر في بعض التعاليم الدينيّة. يعتقد لاهوت الطبيعة بأنّ المعتقدات المذهبيّة إذا أرادت أن تنسجم وتتواءم مع العلم، فمن الضروريّ إجراء بعض التعديلات على التعاليم الدينيّة.

جـ التلفيق المنسجم (Systematic Synthesis): بناءً على هذه الرؤية يتعاطى ويتعامل العلم والدين معًا لأجل تكوين ميتافيزيقيا شاملةٍ ومتكاملةٍ من خلال رؤيةٍ كونيّةٍ منسجمةٍ تتضمّن ميتافيزيقيا شاملةً. [گلشنی، علم و دین در افق جهان بینی توحیدی، ص 82]

الجدير بالذكر هو: أنّ موقفنا من علاقة العلم والدين في هذا البحث هو موقف التعاضد والتساند والتكامل فيما بينهما وليس موقف تعارضٍ وتمايزٍ وتداخلٍ[1]؛ لما تعانيه هذه النظريّات الثلاث من

---

1 ـ المراد من موقف التعارض بين العلم والدين هو القول بالتنافي بين شيئين على وجه التناقض والتضادّ، بحيث يكذّب أحدهما الآخر في الحكاية والكشف عن الواقع.

والمراد من موقف التمايز بين العلم والدين هو إنّ كلّ واحدٍ منهما يتعلّق بنطاقٍ مستقلٍّ (Independence) على حدةٍ، من دون أن يتدخّل أحدهما في شأن الآخر. وفي الحقيقة نظريّة التمايز بين العلم والدين محاولةٌ لرفع التعارض بين العلم والدين وحصر

النقد والإشكال والخَلل. ولكنّ العلاقة التعاضديّة بين العلم والدين تتمثّل في صُوَرٍ وأشكالٍ متعدّدةٍ مثل الخدمات المتبادلة بين العلم والدين أو نظريّة "العلم الدينيّ".

ملاحظة

لا يجوز أن نتوقّع من الدين أن يبيّن لنا جميع القوانين والأحكام في العلوم الطبيعيّة والإنسانيّة كمًّا وكيفًا، بحيث يحتوي على مجموعةٍ شاملةٍ من القوانين الفيزيائيّة والكيميائيّة وغيرها من العلوم البشريّة؛ إذ ليس الدين علم الأحياء ولا الفيزياء ولا الكيمياء ولا علم النفس ولا علم الاجتماع ولا علمي السياسة والاقتصاد بمعناه الدقيق العلميّ كعلمٍ مستقلٍّ على حدةٍ، بل الدين يهيمن ويسيطر على جميع هذه العلوم من جهة دورها وتأثيرها في تحقيق السعادة الدنيويّة والأخرويّة للإنسان. بمعنى أنّ الدين ليست وظيفته ومهمّته هي بيان العناصر المؤلِّفة للأشياء المادّيّة وآثارها الفيزيائيّة والكيميائيّة، ولا كشف العلاقات والروابط العلّيّة بين الأحداث والأشياء في عالم الطبيعة كما هو شأن سائر العلوم، بل غاية الدين ومهمّته الرئيسة أن يبيّن لنا كيف نستفيد من هذه الأشياء والقوانين الطبيعيّة بشكلٍ صحيحٍ؛ حتّى نصل إلى السعادة الواقعيّة الإنسانيّة. بعبارةٍ أخرى شأن الدين هو بيان جميع ما له تأثيرٌ ودورٌ في هداية الإنسان نحو السعادة الحقيقيّة في الدنيا والآخرة، وتوجيه أعماله وسلوكيّاته ومعتقداته بحيث تكون في اتّجاه مرضاة الله وإرادته، وبيان القيم الأخلاقيّة والإلهيّة في كيفيّة استخدام العلوم والنتاجات الفكريّة البشريّة، وهذا ما تعجز عنه العلوم الطبيعيّة والتجريبيّة. [مصباح يزدى، نظريه سياسى اسلام ، ص 59]

والجدير بالذكر أنّ الدين أحيانًا يتطرّق إلى بعض القوانين الطبيعيّة كمراحل تطوّر الجنين وحركة الأرض وعمليّة اللقاح في النباتات وغيرها من القضايا العلميّة، ولكن ليس غرضه من ذكرها في النصوص الدينيّة إلّا بيان عظمة الله ﷻ وحكمته البالغة وإتقان صنعه، أو بيان الإعجاز العلميّ لترسيخ المعتقدات التوحيديّة وهداية البشر نحو سعادته الحقيقيّة. وبناءً على نظريّة التعاضد ينبغي هنا أن نشير إلى الخدمات المتبادلة بين العلم والدين في هذا المجال:

كلّ واحدٍ منهما بإطاره الخاصّ.

والمقصود من موقف التداخل بين العلم والدين هو أنّ الدين يتضمّن القضايا العلميّة في داخله؛ فالقضايا العلميّة داخلةٌ في نطاق الدين، وتعدّ من جملة القضايا الدينيّة. بناءً على نظريّة التداخل فإنّ النسبة بين الدين والعلم هي "عمومٌ وخصوصٌ مطلقٌ"، بمعنى أنّ الدين أعمّ وأشمل من العلم، والدين يتضمّن العلمَ ويشتمل عليه. الجدير بالذكر هو أنّ هذه النظريّات الثلاث تعاني من الخلل، فمن أراد التفصيل فليراجع كتاب "العلم والدين" الصادر من مؤسّسة الدليل.

الخدمات المتبادلة بين العلم والدين

على مرّ التاريخ كان هناك اتّجاهان يركّزان على تعارض العلم والدين، ويجعل أحدهما مخالفًا للآخر، الطائفة الأولى الجهّال الّذين يتظاهرون بالتديّن ويستغلّون الدين وجهل الناس، فيرتزقون من الدين. يحاول هؤلاء أن يُبقوا الناس في الجهالة، ويغطّون عيوبهم تحت لواء الدين، ويرفضون العلماء بسلاح الدين، ويحذّرون الناس من العلم بذريعة أنّه ينافي الدين.

الاتّجاه الثاني الّذي يضخّم التعارض بين العلم والدين شريحةٌ من المثقّفين الّذين نبذوا القِيم الإنسانيّة والأخلاقيّة وراء ظهورهم، وتذرّعوا بذرائع شتّى ليبرّروا الإباحيّة وعدم التقيّد والالتزام بالدين؛ لذا يعتمدون على العلم ويعدّونه حاجزًا ومانعًا من التقرّب إلى الدين.

هناك اتّجاهٌ ثالثٌ عبر التاريخ يستفيد من موهبة العلم والدين معًا، ولا يشعر بأيّ تعارضٍ وتنافٍ بينهما، فيحاول هذا الاتّجاه أن يزيل غبار التنافي الّذي أثاره الاتّجاهان الأوّل والثاني عن العلم والدين [مطهرى، بيست گفتار، ص 179]، وهذا الاتّجاه الثالث يركّز على الخدمات المتبادلة بين العلم والدين. إذن من الضروريّ أن نسلّط الضوء على هذه الخدمات المتبادلة؛ لنرى مدى تعاضد أحدهما بالآخر، ففي هذا المجال نستعرض شطرًا من هذه الخدمات والمساعدات الّتي قدّمها الدين للعلم، أو بالعكس قدّمها العلم للدين:

أوّلًا: خدمة العلم للدين

1ـ كشف رموز الطبيعة وأسرارها في ضوء تطوّر العلوم الطبيعيّة والتجريبيّة يكشف أبعادًا جديدةً من الإعجاز العلميّ للقرآن الكريم، فالقرآن قبل أربعة عشر قرنًا وقبل هذه الاكتشافات الباهرة في العلوم والتقنية تنبّأ وأخبر عن حقيقةٍ كونيّةٍ طبيعيّةٍ كحركة الأرض، أو لقاح النباتات، أو مراحل تطوّر الجنين في بطن الأمّ وما شابه ذلك، وهذا يُثبت أحقّيّة القرآن الكريم. بعبارةٍ أخرى أنّ بعض الحقائق الطبيعيّة في القرآن الكريم يمكن إثباتها بالمنهج التجريبيّ الحسّيّ، وهذا يفيد المثقّفين الّذين لا يقتنعون إلّا بلغة العلم والتجربة، ويجعلهم يعترفون بإعجاز القرآن الكريم وعظمة الله تعالى.

2ـ بما أنّ العلوم التجريبيّة القطعية تكشف عن بعض حقائق الأمور بشكلٍ تفصيليٍّ وجزئيٍّ، وتُبيّن العلاقات والروابط الدقيقة والعجيبة بين أجزاء النسيج الداخليّ لشيءٍ واحدٍ، أو بين الأشياء المتعدّدة، فهذا يساعد الإنسان على معرفة الله ـ تعالى ـ وحكمته وإتقان صنعه وعلمه وقدرته. بتعبيرٍ آخر إنّ الاكتشافات العلميّة المدهشة المحيّرة الّتي أثمرتها العلوم الطبيعيّة خاصّةً "علم الأحياء" تعدّ "صغرى" لبرهان النظم، فإذا ضُمّت إليها "الكبرى الكلّيّة" يتألّف منهما هذا القياس المنطقيّ: العالم يسوده نظمٌ ونظامٌ دقيقٌ (صغرى)، وكلّ ما يسوده نظمٌ ونظامٌ دقيقٌ فله ناظمٌ حكيمٌ قادرٌ عليمٌ (كبرى).

وإن كان هدف الإنسان الحداثيّ وغايته المنشودة من تطوّر العلوم الحديثة وازدهارها الحصولَ على الرفاهية والراحة واللذّة أكثر فأكثر، ولكن ينتفع بها الموحّدون والمؤمنون لترسيخ المعتقدات الدينيّة في نفوسهم، ولتقوية إيمانهم بالله ﷻ فليس هناك تعارضٌ بينهما؛ لذا نرى أنّ بعض روّاد علم الفيزياء يصرّحون بأنّ الغاية من علم الفيزياء هي فهم عالم الطبيعة كصنعٍ من مصنوعات الله تعالى، يقول أينشتاين: «إنّني أريد أن أكتشف كيف خلق الله العالم؛ إذ لا أحبّ أن أعرف ظاهرة كذا أو عنصر كذا؛ بل أريد أن أعرف تصميم الله للكون، ولكنّ سائر المسائل تعدّ من الجزئيّات» [French, Einstein, A Centnary Volume, p. 67].

وأيضًا يقول ويتن (Witten) وهو من أقطاب علم الفيزياء في أواخر القرن العشرين: «ليس هدف عالِم الفيزياء أن يعرف كيف يحاسب الأشياء، بل غايته من دراسة علم الفيزياء أن يتعرّف على أصولٍ وقوانين يعتمد عليها عالَم الكون» [Ibid].

3ـ لا شكّ في أنّ المناسك والتعبّديّات في الشريعة لها حِكمٌ وعللٌ، فهي تابعةٌ للمصالح والمفاسد الحقيقيّة، ولكنّ كثيرًا منها مخفيٌّ عنّا وغير مكشوفٍ لنا. وتطوّر العلوم الحديثة الطبيعيّة يبيّن لنا بعض الحِكم المكنونة وراء الأمور التعبّديّة والمناسك العباديّة، ويمنح للإنسان روح التعبّد والالتزام والتقيّد بالعبادات الفرديّة والاجتماعيّة أكثر فأكثر.

بعبارةٍ أخرى إنّ تقدّم العلوم الإنسانيّة والطبيعيّة والاجتماعيّة له دورٌ مهمٌّ في ترسيخ القيم الأخلاقيّة وإشاعتها على المستويين الفرديّ والاجتماعيّ. والتجارب البشريّة الضخمة المتراكمة طول حياة الإنسان وكثرة اختباراته للأمور تكشف عن الحقائق الّتي جاء بها الوحي الإلهيّ عن طريق الأنبياء لسعادة الإنسان. فالعلم والاكتشافات العلميّة تدعم الإيمان وتقوّي الاعتقاد بالتعاليم الدينيّة. على سبيل المثال إحدى جوانب الإعجاز في القرآن الكريم هو الإعجاز العلميّ؛ فقد تتطرّقت بعض الآيات القرآنيّة إلى الأحداث والظواهر العلميّة الّتي لم تُكتشف في عصر نزول الوحي، وقد كشف العلماء اللثام عنها في القرون الأخيرة، وهذا إن دلّ على شيءٍ فإنّما يدلّ على مدى تطابق النصّ القرآنيّ مع التطوّرات العلميّة، وكذلك يدلّ على الجنبة الإعجازيّة للقرآن الّتي تقوّي الإيمان والاعتقاد بالتعاليم الدينيّة، فينبغي هنا أن نشير إلى بعض الآيات التي تدلّ على الإعجاز العلميّ للقرآن الكريم:

ـ حركة الأرض: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ [سورة النمل: 88].

ـ لقاح النباتات: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾ [سورة الحجر: 22].

ـ مراحل تطوّر الجنين: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [سورة المؤمنون: 14].

ـ معرفة وجود بصمات الأصابع وعدم اشتراك فرديْن فيها: ﴿بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾ [سورة القيامة: 4].

ـ تضايق الصدر عند الصعود في السماء: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّما يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ [سورة الأنعام : 125].

ـ وجود المشارق المتعدّدة: ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُما وَرَبُّ الْمَشارِقِ﴾ [سورة الصافّات: 5].

ـ قد ورد في التراث الحديثيّ هذا الحدديث النبويّ الشريف: «لا تنكحوا القرابة القريبة، فإنّ الولد يخلق ضاوِيًا» [الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج 3، ص 106]. الضاويّ أي الضعيف النحيف، فقد أخبر هذا الحديث قبل قرون أن زواج الأقارب القريبين يوجب أن يُخلق الولد الناتج منه نحيفًا هزيلًا، وقد أثبت هذه النقطة العلم التجريبيّ الحديث.

4ـ من الخدمات المهمّة التى تقدّمها العلوم الطبيعيّة والتجريبيّة للدين هي أنّها تساعد وتعين الفقيهَ المجتهدَ للتعرّف على الأبعاد والزوايا الكامنة للموضوعات المستحدثة. ولا يخفى أنّ علم الفقه هو قانون الحياة البشريّة ودستورها من المهد إلى اللحد، فيجب على الفقيه أن يبيّن حكمَ الله في الموضوعات الحديثة البديعة غير المسبوقة الّتي تُطرح لأوّل مرّةٍ في الفقه. على سبيل المثال موضوع "الذكاء الاصطناعيّ" ـ وهو من الموضوعات الحديثة العصريّة ـ يُثير أسئلةً فقهيّةً مهمّةً على الفقيه المجتهد يُجيب عليها ويبيّن فيها حكمَ الله تعالى، ولكن قبل الإجابة وتحديد الحكم ينبغي أن يدرس الذكاء الاصطناعيّ دراسةً شاملةً معمّقةً ليعرف أبعاد وزواياه بصورةٍ كاملةٍ؛ لأنّ الإفتاء وبيان الحكم الشرعيّ رهين معرفة الموضوع معرفةً دقيقةً شاملةً. فعلى الفقيه البارع أن يستعين بالمتخصصين وأصحاب التخصّص لبيان وإيضاح الموضوعات الجديدة ويستفيد من معلوماتهم العلميّة القيّمة في هذا المجال. ومن هنا يأتي دور العلوم الطبيعيّة المهتمّة بهذا الموضوع الجديد لتبيّنه وتوضّحه وتكشف عن أبعاده ومختلف جوانبه. وهذا يعدّ من أبرز الخدمات العلميّة للدين.

ثانيًا: خدمة الدين للعلم

أـ يدعو الدين إلى التعقّل والتفكّر في الحقائق الكونيّة، وإثارة العقول، ويشجّع على البحث والتفتيش عن أسرار الأمور والأشياء المخلوقة في عالم الطبيعة، وتُعدّ هذه الدعوة من أهمّ الخدمات الّتي يقدّمها الدين للعلم. لقد حثّ القرآن الكريم على التفكّر والتدبّر في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والأبعاد الوجوديّة للإنسان من بدنه وروحه وعقله. وهذا التشجيع مهّد الأرضيّة للمفكّرين والعلماء لأن يبذلوا قصارى جهودهم لكشف الروابط والعلاقات الموجودة بين الأشياء، ويدوّنوا علومًا متعدّدةً. إنّ للمحفّزات والدوافع الدينيّة والإيمانيّة (Fideism) في الحقيقة دورًا

فعّالًا في تطوّر العلوم الطبيعيّة وكمالها وازدهارها. يقول العلّامة الطباطبائيّ:

«يمكن أن نقول بكلّ جرأةٍ إنّ السبب الرئيسيّ لاهتمام المسلمين واشتغالهم بالعلوم العقليّة من الطبيعيّات والرياضيّات وغيرها من العلوم ـ سواءٌ كان عن طريق ترجمة هذه العلوم في بداية الأمر وعن طريق الابتكار والإبداع في آخر المطاف ـ رهين المحفّزات الثقافيّة والدوافع الّتي أثارها القرآن المجيد في نفوس المسلمين» [الطباطبائيّ، القرآن في الإسلام، ص 111].

كذلك يقول آرثر شاولو (Arthur Leonard Schawlow) الفيلسوف وعالم الفيزياء الفائز بجائزة نوبل: «إنّ الدين يوفّر أرضيّةً عظيمةً للبحث العلميّ؛ لأنّ السماوات تبيّن عظمة الله وتُظهر صنعه، إذن البحث العلميّ يُعدّ عبادةً لأنّ العلم يبرز عجائب الخلقة أكثر فأكثر»

[Margeneau, Cosmos, Bios, Theos, La Salle, Illinois, P. 106]

ب ـ من جملة خدمات الدين للعلم هو أنّ الدين وضع للعلم أطرًا وموازين أخلاقيّةً وإيمانيّةً ومعنويّةً، وأصرّ على أنّ العلم يجب أن يتأطّر بالقيم الأخلاقيّة والإنسانيّة. فلو خرج العلم عن هذا النطاق الأخلاقيّ وهذه القيم، فهذا من شأنه أن يسبّب ارتكاب الجرائم البشعة باسم العلم وبسبب العلم، فالإيمان هو الّذي ينوّر طريق العلم ويجعل له غاياتٍ مطلوبةً.

جـ لقد تقدّمت العلوم الطبيعيّة تقدّمًا باهرًا مدهشًا في العصر الراهن، ولكن لم تستطع أن تجيب عن الأسئلة المبدئيّة الأساسيّة للبشر وسكتت وعجزت عنها. بعبارةٍ أخرى لم يلبّ العلم متطلّبات البشر في جوانب الحياة الفرديّة والاجتماعيّة، ولم يستطع أن يجيب عن الأسئلة الأساسيّة الّتي تنبثق من عقل الإنسان المعاصر وفطرته التوحيديّة. فبدأت تظهر أضرار العلم بلا إيمانٍ ودينٍ وآثاره السلبيّة؛ فلذا نشاهد التراجع إلى الدين والمعنويّة في منتصف القرن العشرين بشكلٍ عجيبٍ.

ومن هذه الأسئلة المهمّة: لماذا وُجد العالَم ومن أين نشأ؟ هل للعالَم هدفٌ وغايةٌ وما هي غايته؟ لماذا خُلق الإنسان وما مكانته في العالم؟ ما مصير الإنسان وما منتهاه؟ ما معنى الحياة ومصدرها؟ ما وظائف الإنسان وحقوقه؟ ما معنى الجيّد والرديء والحُسن والقبح في حياة الإنسان؟ وغيرها من التساؤلات المهمّة الّتي شغلت بال الإنسان المعاصر. لقد اعترف علماء الطبيعة والفيزياء بأنّ العلم "science" عاجزٌ وقاصرٌ عن الإجابة على هذه الأسئلة، وأنّ الدين قادرٌ على الإجابة عليها، وحلّ هذه المشاكل الفكريّة.

لذا يقول مارجنو (Henry Margeneau) الفيلسوف وعالم الفيزياء: «إنّ العلم يحتاج إلى الدين حتّى يبرّر له مصدر نجاحه وإنجازاته» [Ibid, P. 62].

وكذا يقول آرثر شاولو: «برأيي عندما نواجه عجائب الحياة وغرائبها علينا أن نسأل "لماذا"؟ ولا

نسأل "كيف" فقط. فتكون الإجابات الممكنة هي الإجابات الدينيّة»

[Cosmos, Bios, Theos: Scientists Reflect on Science, God, and the Origins of the Universe, Life, and Sapiens, p. 105].

قد يقول علماء الفيزياء إنّ الفيزياء عاجزةٌ عن الإجابة، ولكن البديل هو في العلوم الإنسانية والفلسفة وليس في الدين، ولكنّ هذا كلام غير صائبٍ؛ لأنّ العلوم الإنسانيّة والفلسفة رغم تقدّمها لا تقدر على بيان الغاية الحقيقيّة والسعادة الأصليّة للإنسان، ولا طرق الوصول إليها؛ والشاهد عليه ما نرى من التناقضات والتهافتات في هذا المجال.

دـ يخدم الدين العلمَ في ضوء إعطاء رؤيةٍ كونيّةٍ توحيديّةٍ وتفسيرٍ إلهيٍّ ربّانيٍّ، وهذه الرؤية التوحيديّة تؤثّر على اكتشاف العلوم وإبداعها تأثيرًا بالغًا. فبعض النظريّات العلميّة المهمّة كانت متأثّرةً ومستلهمةً من الرؤية الكونيّة الدينيّة، على سبيل المثال يعتقد أينشتاين (Albert Einstein) بأنّ فكرة "أنّ الطبيعة قابلةٌ للفهم والإدراك" مقتبسةٌ من الدين، بمعنى أنّ الأنظمة السارية في العالم يمكن للعقل أن يُدركها، فالعلم بدون الدين ناقصٌ وقاصرٌ، كما أنّ الدين بدون العلم أعمى. [انظر: گلشنی، علم و دین در افق جهان بینی توحیدی، ص 82]

وأيضًا يعتقد أندريه لينده (Andrei Linde) عالم الكونيّات الروسيّ المعروف بأنّ البحث عن "النظريّة الشاملة" في الفيزياء ـ الّتي بصدد كشف نظريّةٍ موحّدةٍ منسجمةٍ تستوعب تبرير كلّ صور المادّة وأشكالها، وتبيّن جميع الطاقات الطبيعيّة وتوضّحها ـ مأخوذٌ من الرؤية التوحيديّة الإلهيّة. [The Christian Science Monitor, P. B4]

من جهةٍ أخرى فإنّ العلوم الإنسانيّة كالاقتصاد وعلم الاجتماع وعلم النفس وعلم القانون والعلوم التربويّة وغيرها رهينةٌ بمعرفةٍ عميقةٍ ودقيقةٍ عن حقيقة الإنسان. والدين يساعد هذه العلوم الإنسانيّة بتقديم تعريفٍ حقيقيٍّ دقيقٍ عن هويّة الإنسان وأبعاده الوجوديّة، وأنّه يتألّف من البعدين الروحيّ والبدنيّ، ولكلّ واحدٍ منهما آثارٌ ولوازم خاصّةٌ.

هـ قبل سنة 1960 كان علماء الفيزياء يعتقدون بضرورة استقلال بحوثهم عن المفروضات الفلسفيّة والمبادئ الميتافيزيقيّة، ولكن ظهرت بعض المدارس في فلسفة العلم وأبطلت هذه المزاعم، واعترفت بأنّ العلم يعتمد على المفروضات الفلسفيّة والميتافيزيقيّة أشدّ الاعتماد، ومع إنكارها لا معنى للأبحاث العلميّة والتجريبيّة، وينبغي هنا أن نستعرض شطرًا من هذه الافتراضات المسبقة الّتي تركن إليها العلوم الطبيعيّة والتجريبيّة:

ـ هناك عالَمٌ عينيٌّ مستقلٌّ عن أذهاننا، وهو منشأ التأثّرات الحسّيّة.

ـ يمكن أن يعرف الإنسان هذا العالَم العينيّ في ضوء التجربة والبراهين العقليّة.

ـ أنّ المعطيات التجريبيّة يمكن الاعتماد عليها والوثوق بها، ولا تخدعنا.

ـ يمكن للإنسان أن يصوّر عالَم الطبيعة بصورةٍ رياضيّةٍ وفي قالَب علم الرياضيّات.

ـ أنّ القوانين الأساسيّة السائدة في عالَم الطبيعة قوانين موحّدةٌ وثابتةٌ مستمرّةٌ في كلّ الأزمنة والأمكنة، ويمكن معرفتها.

والحقّ أنّ مصدر هذه الافتراضات المسبقة ومنشأ هذه القبليّات المعرفيّة هو الأديان التوحيديّة الإبراهيميّة والفلسفات العقليّة القديمة.

والجدير بالذكر أنّ بعض كبار علماء الفيزياء يصرّح بصوتٍ عالٍ أنّ للعلم مفروضاتٍ ميتافيزيقيّةً وعقليّةً يعجز العلم عن إثباتها، بل هناك افتراضاتٌ مسبقةٌ تعتمد عليها العلوم بوصفها مسلّماتٍ يستلزم قبولها نوعًا من "الإيمان":

«إذا قيل إنّ الدين يتطلّب ويقتضي نوعًا من الإيمان بحقائق غير قابلةٍ للإثبات، فكذلك العلوم الفيزيائيّة المعتمدة على الرياضيّات تقتضي نوعًا من الإيمان» [گلشنی، علم و دین و معنویت در آستانه قرن بیست و یکم ، ص 40]

الخاتمة والنتيجة

1ـ بناءً على "نظرية التعاضد" ليس هناك أيّ تعارضٍ وتنافٍ بين مسائل الدين والعلم، بل تحاول نظريّة التعاضد والتكامل أن ترسم مجموعةً متناسقةً ومتماسكةً يساهم العلم والدين فيها في تبيين الأشياء والظواهر، وفي تحقيق رؤيةٍ كونيّةٍ منسجمةٍ؛ وذلك لأنّ كتاب التكوين وكتاب التدوين (التشريع) كلاهما من جانب الله ﷻ.

2ـ لا يخفى أنّ هناك ثلاثة مناهج متداولةٍ لبيان التناسق والتعاضد بين العلم واللاهوت:

أـ اللاهوت الطبيعيّ (Natural Theology).

بـ لاهوت الطبيعة (Theology of Nature).

جـ التلفيق المنسجم (Systematic Synthesis).

3ـ من جملة خدمات العلم للدين:

أـ الكشف عن الأبعاد الجديدة للإعجاز العلميّ للقرآن الكريم بصورةٍ خاصّةٍ وللتعاليم الدينيّة بصورةٍ عامّةٍ.

بـ أنّ المعطيات والاكتشافات العلميّة الحديثة تعدّ "الصغرى" لبرهان النظم.

جـ تطوّر العلوم الحديثة الطبيعيّة يبيّن لنا بعض الحِكم المكنونة وراء الأمور التعبّديّة والمناسك العباديّة، ويمنح للإنسان روح التعبّد والالتزام والتقيّد بالعبادات الفرديّة والاجتماعيّة أكثر فأكثر.

4ـ ومن الخدمات المهمّة الّتي يقدّمها الدين للعلم:

أـ يدعو الدين إلى التعقّل والتفكّر في الحقائق الكونيّة، وإثارة العقول، ويشجّع على البحث والتفتيش عن أسرار الأمور والأشياء المخلوقة في عالم الطبيعة، وتُعدّ هذه الدعوة من أهمّ الخدمات الّتي يقدّمها الدين للعلم.

بـ قدّم الدين ملامح وومضاتٍ من العلوم الطبيعيّة وأسرارها، وفتح للعلماء والباحثين آفاقًا معرفيّةً جديدةً.

جـ أنّ الدين وضع للعلم أطرًا وموازين أخلاقيّةً وإيمانيّةً ومعنويّةً، وأصرّ على أنّ العلم يجب أن يتأطّر بالقيم الأخلاقيّة والإنسانيّة.

قائمة المصادر

الجزري، مبارك بن محمد بن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، تصحيح محمود محمد الطناحي، مؤسسة إسماعيليان للمطبوعات، قمّ، الطبعة الرابعة، 1409 هـ

جوادی آملی، عبدالله، منزلت عقل در هندسه معرفت دینی [منزلة العقل في هندسة المعرفة الدينيّة]، مركز نشر اسراء، قم، چاپ یکم، 1386 ش.

الطباطبائيّ، محمدحسين، القرآن في الإسلام من منظار التشيّع، مكتب النشر الإسلاميّ، قمّ، الطبعة الأولى.

گلشنی، مهدی، علم و دین در افق جهان بینی توحیدی [العلم والدين على أفق الرؤية الكونية التوحيدية]، دانشگاه صنعتی خواجه نصیرالدین طوسی، تهران، چاپ دوّم، 1398 ش.

گلشنی، مهدی، علم، دین و معنویت در آستانه قرن بیست و یکم [العلم والدين والمعنويّة على أعتاب القرن الحادي والعشرين]، پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی، تهران، چاپ یکم، 1379 ش.

مصباح یزدی، محمدتقی، نظریه سیاسی اسلام [النظريّة السياسيّة للإسلام]، موسسه آموزشی پژوهشی امام خمینی، قم، چاپ یکم، 1378 ش.

مطهری، مرتضی، بیست گفتار [عشرون مقالًا]، انتشارت صدرا، قم، چاپ بیست و دوّم، 1384 ش.

مطهری، مرتضی، مجموعه آثار (انسان و ایمان) [مجموعة المؤلّفات (الإنسان والإيمان)] ، قم، چاپ هشتم، 1377 ش.

Refrence

Michael Peterson, William Hasker, Bruce Reichenbach and David Basinger, Reason & Religious Belief, An Introduction to the Philosophy of Religion, New York: Oxford University Press, Fifth Edition, 2013.

Alfred North Whitehead. Science and the Modern World, New York: The Free Prss, 1925

Cosmos, Bios, Theos: Scientists Reflect on Science, God, and the Origins of the Universe, Life, and Sapiens, edited by Henry Margenau and Roy Abraham (Open Court Pub. Co., 1992),

Barbour, Ian, Religion and science (San Francisco: Harper, 1997).

The Christian Science Monitor, July 9, 1998.

Henry Margeneau and Roy A. Varghese, eds., Cosmos, Bios, Theos (La Salle, Illinois: Open Court, 1992).

P. French, Einstein, A Centnary Volume (London: Heinemann, 1979).